عبرات هبوب، والصاحب وهو من البحر مع شرب مصحوب، والميكالي وبيكالي لمرفوض، والحريري وحريره في سوق الكساد معروض، فاما بحر وشي الرجان، فقد استخرج منه اللولو والمرجان، وابقاه في ضحضاح، بل ترك يمشي باديج ضاح، فمن ذا يجاري فارس الصفين، وامام الصنفين، ابلغ من خط بقلم واشهر من طار على علم، وماذا يقال في انامل تطرز بها الصحف، وخمايل تتحرز بها روضة الانف، واسم في شرق البلاد وطاهر، ووسم بالكتابة والنجابة لم يكن لبني وهب وآل طاهر، فالزمان بانواره ماينثر، ويعظم ما نظم والوان الازمنة قبل عرت المخاص بكل ناجم، ونشرت المقابر من الصنوبري وكشاجم، وجاءت بالكتاب من كل جيل، والشعراء رعيلا بعد رعيل، لطال هذا العصر بولجيه الانها، والنسي عليه اسلافها، انتهى

وكتب رحمه الله تعالى الى صاحبين له في معنا ما المغابة انفا ما نصه

تحية منكما اتتني طابت كما طاب مرسلاها
ويالها ذكرت عهودا قلبي والله ما سلاها
حللتما في البلاد ارضا ريح صباها غير سلاها
لم يصب قلبي الى رباها يوما ولم يسل في سلاها

كتابي ايها الاخوان اللذان بودهما اقول، ومن عهدهما لا احول، انزلكما الله تعالى خير منزل، وجعلكما من النوايب والشوايب بمعزل، من رباط الفتح وقلبي قد تملكما رقه، وقلبي تملا ونعليمام فتماصدقه كيف حالكما من سفر طويتما خبره، حين تجشمتما عزره، وكيف بحث نفوسكما بام الحصون، وذات الظلال والعيون، تربة الاباء ومنزل المجد بين النجبا، حين مررتما جلها، وهجرتما حزنها وسهلها، وخضتما غير النجاح، وخضر الامواج، ماذاك الا لتغلب الحادث النكر، وتالب معشر الغدر، ومن اجل الداهية النكاد والحادثة الشنيعة على البلاد، ازعجتكم حين ازعجتنا، واخرجتكم كما اخرجتنا، وطوحت بنا طوايحها، واجتلت ثمرنا وشجرنا جوايحها، فشكرا لله على قضايه، وتضرعا اليه ان يرفعه من دعايه، وهنيا لنا ولكم حسن الشرداء المنطوين من الشجو على شر الداء، ذلك الطود الذي اليه اوينا، وفي ظله ثوينا، وعن رايه تريان وبسعيه تسعيان، فوجهه المبارك لا يعدم رايه نجحا، ولا يعدو لصبحه اذا دجا ليل الهم صبحا، انتهى

وكان ابو المطرف بن عميرة المذكور كما قال فيه بعض علماء المغرب، قدوة البلغاء، وعمدة العلماء، وصدر نجباء الفضلاء، وهو احمد بن عبد الله بن عميرة المخزومي، ونكتة البلاغة التي احرزها واودعها، وشمسها التي اخفت ثواقب كواكبها حين ابدعها، مبدع البدايع التي لم يحط بها قبله انسان، ولا ينطق عن تلاوتها لسان، اذ كان ينطق عن قريحة صحيحة، وروية بدر العلم فصيحة، ذللت له صعاب الكلام، وصدقت روياه حين وضع سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وهو الذي اوتي جوامع الكلم في يديه الاقلام، واصل سلفه من جزيرة شقر وولد بمدينة بلنسية، وروى عن ابي الخطاب بن واجب وابي الربيع بن سالم وابن نوح والشلوبين النحوي وابن حوط الله وابني مات وغيرهم من الحفاظ واجازه من اهل المشرق جماعة شديد العناية بشان الرواية فاكثر من سماع الحديث واخذ عن مشايخ اهل زمانه تفنن في العلوم ونظر في المعقولات واصول الفقه ومال الى الادب فبرع براعة عد فيها من مجيدي النظم فاما الكتابة فهو فارسها الذي لا يجارى، وصاحب عنانها الذي لا يبارى، والوعظ على طريقة ابن الجوزي ورسايل خاطب بها الملوك وغيرهم من الموحدين والحفصيين وله تاليف في كاينة ميورقة وتغلب الروم عليها نحا فيه منحى الامام الاصبهاني في الفتح القدسي وله كتاب تعقب فيه على الفخر الرازي في كتاب المعالم وله كتاب رد به على كمال الدين الانصاري في كتابه المسمى بالتبيان في علم البيان المطلع على اعجاز القران وسماه بالتنبيهات على ما في التبيان من التمويهات وله اختصار نبيل من تاريخ ابن صاحب الصلاة وغير ذلك وورد رحمه الله تعالى حضرة الامامة بمراكش صحبة امير المومنين الرشيد حين تقوله من مدينة سلا واستكتبه مدة يسيرة ثم صرفه عن الكتابة وقلده قضا هيلانة ثم نقله الى قضا سلا ثم نقله السعيد الى قضاء مكناسة الزيتون ثم قصد سبتة واخذ ماله في قافلة في فتنة بني مرين ثم توجه الى بلاد افريقية ووصف حاله في رسالة خاطب بها ابن السلطان ابي زكريا الحفصي وهو ابو زكريا ابن السلطان ابي زكريا وكان صاحب بجاية لابيه ولم يزل رحمه الله منذ فارق الاندلس متنقلا الى ان سكن افريقية معمور القلب بسكناها، ولما قدم تونس مال الى صحبة الصالحين والزهاد واهل الخير برهة من الزمان ثم استقضي بالاندلس من افريقية ثم بقابس مدة طويلة ثم استدعاه امير المومنين المستنصر بالله الحفصي لحضرة بمجالس انسه وداخله مداخلة شديدة حتى تغلب على الكراسي ومولده بجزيرة شقر في شهر رمضان المعظم سنة ثمان وخمسين وتوفي في ليلة الجمعة الموفية عشرين من ذي الحجة سنة ستماية وثمانية وخمسين الحقه الله رضوانه وجدد عليه غفرانه، وقال ابن الابار في تحفة القادم في حق ابي المطرف المذكور فايدة هذه المائة، والواحد يفي بالفية، الذي اعترف باتحاده الجميع، واتصف بالابداع فماذا يتصف به البديع، ومعاذ الله ان احابيه بالتقديم، لما له من حق التعليم، كيف وسبقه الاشهر، ونطقه الياقوت والجوهر، تحلت به الصحايف والمهارق، وما تحلت عند المغارب والمشارق، تحيي ان احمد فيا وصافه ثم اشهد بعدم انصافه، هذا على تناول الخصوص والعموم لذكره، وتناوب المنثور والمنظوم على شكره ثم اورد له جملة منها قوله

واجلت فكري في وشاحك فانثني
انصفت غصن البان اذ لم تدعه شوقا اليك يجول في اجوال
متواديا من تغرك المتلالي لما ودع عطفك الميال
ورحمت دار المقدمين وضعته كيف اللقا وفصل وعدك بينه
وكاة قومك نارهم ووقيدها ابدا تخلصه للاستقبال
للطارقين اسنة وعوالي

ولم مما كتب على قوس قوله

ملساء معتقل القنى الالان يحكي تأطر قامتي العوجاء
ضلع نوى فيها باعضل داء تحنو الضلوع على القلوب وانني

ولم وقد اهدى وردا

خذها اليك ابا عبد الاله فقد

جابل

جادتك مثل اغدو وزانها الخفر اتتك تحكي سجايا منك قد عذبت لكن تغير هذا دونه الغير
ان شمت منها بريق الغيث لامعة فسوف ياتيك من ماء لها مطر

قال وكتب اليه تحفة اهداها مكانيا من مثلها

يا واحد الادب الذي قد زانه بمناقب جملة فارس مقنبه
بالفضل في الهبة ابتدات فان تعد طرف لقبول لما وهبت ختمت به

قال ولما ارتحلنا لانتقال الامارة من بلنسية وانا حاضر في صبيحة بعض الجمع وقد جمع صاحب لنا من اهل النظم والنثر واحسن الى الحمام المخصوص

اري من جابا لموي ماس وراحة ذي التريف تعود سمرا
فذاك محقق ان فعل سعرا وهذا منح النقص شعرا

فاجيب

هو ما لحت من الامير الدك تزداد منه وفيه لاترتاب
لا تتقي الاجناد في ايامه فقرا ولا يرجوا الغني الكتاب

وله بعد انفصاله من بلنسية من وحشته في ذي القعدة سنة ستماية وثمانية وعشرين ٥

اسير بارجاء الرجاء وانما حديث طريقي صادق الحدثان
واحصر نفسي ان تقدمت خيفة الخفض عنانا او لبعض زمان
ايترك حظي الحصيص وقد سرى لا مكانه فوق الذري جبلان
واخبط في ليل الحوادث بعد ما اضاء لعيني منهما القمران
نيحيي لا ما بالحياة معادة وان عز بزعزة المكان
وقالوا اقترح ان الاماني منهما وان كن فوق النجم تحت ضمان
نقلت اذا ناجاهما بتعيش ضميري لم احفل بشرح لسان

وله ايضا

سلب الكرى من مقلتي فلم تجي منه على ناي خيال يطرق
اهفوا ارتياحا للنسيم اذا سرى ان الغريق بما يرى يتعلق

انتهى ما لخص من تحفة القادم في ذكر ابن عميرة ابي المطرف رحمه الله تعالى

ومما كتب به ابو المطرف رحمه الله تعالى وفي اثنايه اشارة الى الكفار الغالبين على بلاد الاندلس ما نصه

الان نحسبنا على القطع واحد وجاحد هذا للعروة جاحد
فان لم تصدق ما نطقت بصدقه فانك لي لاح وللود لاحد

ومعاذ الله عز وجل ان تلحاني، او تمنع انفك ريح ريحاني، وكيف تصد عني بوجهك، او تتخذ لي غرب نجهك وانا على غيبك باميني، ولثما لك بيميني، وكم دعوت بي فاجبت، واستغنيت عني فحجبت، واردت الاستبداد فما استطعت، ونعت الوداد فما احسنت النعت، وانما محمد فراهة الاعوجي ان جرى، وتذكر فضيلة ابن السري اذا سرى، فاما الاقتصار على عظم باد، والانتظار لعين عدمت السواد، فخطا من القايل ويخطل عند العاقل، ولله در اخيك من مغض طرف التظرف، قاري ادب الصحبة على السبعة الاحرف كرع في الحزمورد، وتواضع عن شرف مولد، وسما بنفسه عن ان يستخفه نسب يرفعه، وحسب ما لنا الحسد يدفعه، وكذلك الكرام يرون عليهم حقا، ويتوقون مما لم يكن من الكرم موقا، والعهد به وظل الثروة بارد وشيطان الشبيبة مارد، ويرى في الملات يرف، وقد ملما الى الحاجات تخف، يصون عرضه بماله، ويخرج صدقة يمينه من شماله، ويقسم جسمه في جسوم، ويقوم بالحقوق غير ملول ولا ملوم، تلك المكارم لا قعبان، وما تستوي البدنة المهيضة مع غيرها في القربان، وعرضت بذكر العصر الخالي، والقصر العالي، اذ ظل من فنن ورق وعيش مع الكرم رنق، وما تذكر من زمن تولى، وعهد على ان لا يعود تالى، فارقناه احسن ما كان، وودعنا به الاطيبين الزمان والمكان، نعفت الرسوم، وافلت تلك النجوم، ودهمتنا عن قوسها الروم، ثم خلفتنا في المغاني، وقسمتنا بين الاسير والعاني، فاودي العز والكنز، واشتفى من الاسلام الكفر، فكم كاس انس اورقناه، ومنزل فرقة الابد فارقناه، وذكرت اجتيا ذلك بين العليين، وقطعك متن اليم في يومين، والك انتقلت من ذوات الالواح، الى عذبات الادواح، ومن متهافت الشراع، الى منابت اليراع، ومن سكنى بيت السكان، الى منزل بها الفلاح والملاح يشتركان، حيث اجتمع الضب والنون، واينع التين والزيتون وظللت الساحات، وذللت الثمار المباحات، فلا انتزح قضايا اصيل، ولا م تلك الارض الوبيل، انتهى ووصل هذا الكلام بالابيات التي تقدمت قريبا وهي قوله، زد ناظر النابتين في اوطانهم، الى اخره ٥

وكتب رحمه الله تعالى عن اهل شاطبة ايام كان قاضيا بها منها امير المسلمين ابن هود المستولي على الاندلس اخر دولة الموحدين بوصول الكتاب العباسي الكريم اليه من بغداد بولاية الاندلس اذ كان ابن هود حين ثار على الموحدين يدعوا الى الخليفة العباسي الذي كان اكثر الملوك في ذلك الزمان يدينون بطاعته ما نصه بعد الصدر

اما بعد فكتب العبيد كتب الله تعالى للمقام العلي المجاهدي المتوكلي سعادة لا تبلغ امدا الا تخطته ويدا علوها ابتنته ايدي الاقدار وخطته، من شاطبة وبركات الامر المجاهدي المتوكلي والعهد الواثقي المعتصمي تنسكب كالمطر، وتنسحب على البشر، وتقضي بسعادة النصر والظفر، وسعادة الورود والصدر والحمد لله وعند العبيد من اداء فروض الخدم، والقيام بحقوق النعم، ما اعتقدت عليه ضمايرهم، وسمت اليه نواظرهم، واشترك فيه باديهم وحاضرهم، نجابا مالهم فنجح، ونجح حديثهم فربح، وحديث طاعتهم صحيح وبني النظر العلي اهتداوهم، وفي الباب الكريم رجاوهم، وبصدق العبودية اعتزازهم، واليها اعتزاوهم والله تعالى ينهضهم بوظايف المثابة العلية، ويحملهم على المناهج السوية، ووصل الكتاب الكريم متحليا برواء الحق، ناطقا بلسان الصدق، واصفا من التشريف، والفخار المنيف، ما صدر عن سادة الخلق، فلا بيان اعجب من ذلك البيان، ولا يوم كذلك اليوم تبدى نظره للعيان، اورتا دي خبره في اخبار الزمان نشرت فيه الخلع العباسية في اعلى الصور، وبين منها للعيون ما يعثر البليغ عند وصفه في ذيل الحصر ووهد سواده سواد القلب والبصر، فيا لمشهدها ما انجب ما كان، ومراها الذي راع الكفر وراق الايمان واشبه يوما بالاندلس يوم خرجت الرايات السود من خراسان، وكفي بهذا الخار الاعتاج ثابتة مبتنا

King Saud University
Copyright King Saud University